تاريخ شعراء العربية

أشجع بن عمرو السلمي

شعراء العصر العباسي الأول



إعداد وشرح
لجنة التحقيق في دار القلم العربي

مراجعة وتدقيق
أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعه الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

عنوان الدار

سُورِيَة - حَلَبْ - خَلفَ الفُنْدُقِ السِّياحِي

شارع هدى الشِعْرَاوِيْ

هاتف / ٢١٣١٢٩ / ص.ب /٧٨/ فاكس ٢١٢٣٦١ ٠٢١،

مولده ونشأته

ينحدر أشجعُ بن عمرو من بني الشريد السُّلَمِيِّين ، من مصر وكان أبوه عمرو ينزلُ بالبصرة ، ولكنّه انتقلَ إلى اليمامة وتزوّج امرأةً من أهلها ، وولَدَتْ له في موطنها أشجع ، وأمضى أشجعُ سنواتِه الأولى من حياته في اليمامة . ولمّا مات أبوه قدمتْ به أمّه إلى البصرة تطلُبُ ميراثَ أبيه ، وكانت قد رُزقتْ منه أيضاً ولديها أحمد وحُرَيْثاً . وأكمل أشجع نشأته ومَرْباه بالبَصْرة ، وتفتحّت مواهبه الشعريّة ، فابتهجتْ به قبيلته وأخواتها من القبائل القيسية ، وكان الشعر يومئذ في ربيعةَ واليمن ، ولم يكنْ لقيس شاعر معدود ، فلما نجم أشجع ولمع اسمه افتخرتْ به قيس ، وبادَلها فخراً بفخر من مثل قوله :

إذا افتخرت قيسٌ بطيبِ العناصرِ ... على الناس طاطا رأسَه كلُّ فاخِرِ

في بغداد

لم يلبث أشجع أن شدَّ رحالَه إلى بغداد لأواخر عهد المنصور / ١٣٦ – ١٥٨ هـ / ، فمدحَ ابنه جعفراً ، ولم يكد يبزغُ عصر الرشيد حتى وصلتْه به زوجه زُبَيْدةُ بنت جعفر بعد وفاة أبيها ممدوحه ، فأجزل جوائزه .

ويبدو أنّ اتّصاله بالرشيد كان بحدود سنة /١٧٤/ هـ ، إذْ يروي صاحبُ الأغاني عن أشجع قوله : ((دخلتُ على محمد الأمين حين أُجلس مجلس الأدب للتعليم وهو ابن أربع سنين ، وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم . فأنشدْتُ :

مَلِكٌ أبوه وأمُّه من نَبْعةٍ ... منها سراجُ الأمّةِ الوَهّاجُ (١)

---

(١) النبعة : شجرة ضخمة تتخذ منها القسيّ والسهام .

شَرِبَتْ بمكّةَ في رُبَى بَطْحائها ... ماءَ النبوّة ليس فيه مِزاجُ (١)

فأمرتْ له أمُّه زُبَيدة بمائة ألف درهم ، ويقال إنه لم يتولّ الخلافة أحد أبوه وأمه من بني هاشم إلا علي بن أبي طالب ومحمد الأمين)) . ومعروف أن الأمين ولد سنة /١٧٠/ . ومعنى ذلك أنّ دخول أشجع عليه ومدحه كانا في سنة /١٧٤/ هـ .

مدح الرشيد

أكثر أشجعُ من مدح الرشيد في حَرْبه لنقفور ، وكان يحرص على توثيق ولاية العهد للمأمون بعد أخيه الأمين ، ويقول :

بَيْعةُ المأمونِ آخذةٌ ... بعِنانِ الحقّ في أُفُقِهْ
لن يَفُكَّ المرءُ رِبْقَتَها ... أو يفكَّ الدّينَ مِنْ عُنُقِهْ
وله مِنْ وَجْهِ والِدِهِ ... صورةٌ تمّتْ ومِنْ خُلُقِهْ

وكتب الرشيد لولديه كتاباً بهذا العهد ، وعلّقه في سقف الكعبة سنة /١٨٢/ ، فانبرى أشجع يصوّب رأيه ويؤكّده في قصيدةٍ طرِبَ لها الرشيد .

شاعر البرامكة

يُقال إنّ أنسَ بن أبي شيخ كاتب جعفر هو الذي وصله به ، ثم انعقدت صلته بأخيه الفضل وأبيه يحيى ، وكان أوّل ما أنشده :

ذهبتْ مكارمُ جعفرٍ وفَعالُه ... في الناس مثل مذاهب الشّمْسِ
مَلِكٌ تسوسُ له المعالي نفسه ... والعقلُ خيرُ سياسةِ النّفْسِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم . وكان جعفرُ حينئذ بمجلس في أحد

---

(١) بطحاء مكة : واديها . وكانت تنزل فيه عشائر مكّة الشريفة .

قصورهم بحيّ الصالحيّة ، فقال له : صف موضعنا ، فأنشد على البديهة :

قصور الصَّالحيّةِ كالعَذارى لَبسنَ ثيابهنّ ليوم عُرْسِ
مُطِلاتٌ على روضٍ كسَتْه أيادي الماء وَشْياً نَسْجَ غَرْس
إذا ما الطَّلُّ أَثَّرَ في ثَراهُ تنفّس نَوْرُه مِنْ غيرِ نَفْس (١)
فتَغْبِقهُ السَّماءُ بصبِغ وَرْسٍ وتَصْبَحُهُ بأكؤسِ عَيْنِ شَمْسِ (٢)

وأُعجب جعفر بحسن بداهته ، وأصبح شاعرَه وشاعر أسرته ، يمدحه ويمدح أباه وأخاه الفضل ، ويغدقون جميعاً عليه العطايا الجزيلة ، ومن قوله في يحيى :

كفاني صروفَ الدَّهرِ يحيى بنُ خالدٍ فأصبحْتُ لا أرتاع للحدثانِ
كفاني - كفاهُ اللهُ كُلَّ مُلمَّةٍ - طِلابَ فلانٍ مرَّة وفلانِ
فأصبحْتُ في رَغْدٍ من العيشِ واسعٍ أقلّب فيه ناظري ولساني

ونراه يرافق جعفراً حين هاجت العصبية بين النزاريّة واليمنيّة في الشام لسنة /١٨٠/ ، وقد ظفر بجماعة مِمَّنْ سعوا بالفساد وشرَّد آخرين وأصلح ذاتَ البين بين الفئتين المتناحرتين . وأكثر من مديحه حينئذ ، ويقال إنه كان يُجري عليه في كل جمعة مائة دينار ، وأشجع يجري عليه أشعاره مثل قوله :

أصلحْتَ أمرَ الشَّامِ محتسباً ورتقْت ما فيها من الفَتَقِ
ما كان يُدْرَكُ بالقتالِ ولا بالمالِ ما أدركْتَ بالرِّفْقِ

وعزمَ الرشيدُ في تلك السَنَةَ على تولية جعفر خراسان وسجستان ،

(١) الطّلّ : الندى والمطر الخفيف .

(٢) الغبوق شرب المساء . والصبوح : شرب الصباح .

وأخرج له الأمرَ بذلك ، فابتهج وابتهجَ معه شاعره ، ولم يلبث ، أن دبَّج فيه إحدى روائعه ، وفيها يقول :

يريدُ الملــوكُ مدى جعفرٍ ولا يصنعون كما يصنعُ
وليس بأوسعهم في الغنى ولكـنّ معــروفَه أوسعُ
وكيفَ ينـالونَ غاياتِــه وهم يَجْمعونَ ولا يَجْمَعُ
بديهتُه مثلُ تدبيرهِ متى رُمْتَهُ فهو مستجمع

وبدا للرشيد فرجع في أمره وعزيمته ، فأنشـده شعراً طريفـاً يسلّيه بـه ، زاعماً أنّ الرشيد رأى حاجته إليه أمسّ من حاجـةِ أهـل خراسـان . ويُكـثر مـن مديح جعفر ولا يلمّ به مرض هو أو أبوه إلاّ ويكـثر مـن دعائـه لهمـا بالشـفاء ، يقول في يحيى وقد أخذتْه عِلّةٌ :

إذا ما الموتُ أخطأه فلسنا نُبالي الموتَ حيثُ غدا وراحا

ولّما استأذنَ من الرشيد أن يجاور بمكّة لسنة /١٨١/ ظلّ يردّد افتقادَ بغاةِ الخير له ، ، وحزنهم لطولِ غيبته ، من مثل قوله :

قد غـابَ يحيى فما أرى أحداً يأنَسُ إلاّ بذِكْره الحَسَــنِ
أوْحَشتِ الأرضُ حين فارقَها من الأيادي العِظامِ والمِنَنِ
لولا رجاءُ الإيابِ لانصدعت قلوبنا بعدَه من الحــزَنِ

ويظلّ يتغنى بجعفر وبأبيه وأسرته حتى نكبهم الرشـيد ، فتحسّـر عليهـم طويلاً ، ومن قوله فيهم :

كأنّما أيامُهمْ كلُّها كانتْ لأهل الأرضِ أ= بادا

جعفر يولّيه عملاً

ولّى جعفر بن يحيى البرمكيُّ أشجع السلميَّ عملاً ، فرفعَ إليه أهلُه شكايات كثيرة متظلّمين منه ، فصرفه جعفر عنهم ، فلما رجع إليه من عمله مَثَلَ بين يديه وأنشدَه قصيدةً طويلة يقول فيها (١) :

لقد هزت سنانَ القولِ منّي رجالُ وقيعةٍ لم يَعْرفوني
أطافوا بي لديك وغبْتُ عنهم ولو أد نيتني لتجنّبوني

فوصله جعفر وخلع عليه .

يمدح رجال البرامكة

كما مدح أشجعُ البرامكةَ مدح كتّابهم من مثل إسماعيل بن صَبيح ، ومن جيّد قوله فيه :

له نظرٌ لايغمض الأمرُ دونه تكادُ ستورُ الغيب عنه تمزّقُ

ولعلّه لم يكثرْ من مديح صاحب لهم كما أكْثرَ من مديح محمد بن منصور بن زياد .

انصرافه بعد البرامكة إلى الرشيد

بعد نكبة البرامكة على يد الرشيد قال الفضل بن الربيع وزير الرشيد له : ((هو أشعر شعراء أهل الزَّمان ، وقد اقتطعتْهُ عنكَ البرامكة)) فأمر بإيصاله مع الشعراء . وقد تغنّى أشجع بانتصارات الرشيد على نقفور وجنوده ،

---

(١) مطلع القصيدة :

أمفسدةٌ سعادُ عليّ ديني ولائمتي على طول الحنينِ ؟

وفتحه لهرقلة غناءً حارّاً ، من مثل قوله :

برقتْ سماؤك في العدوّ وأمطرتْ هاماً لها ظِلُّ السيوفِ غَمامُ (١)
وعلا عدوّكَ يا بن عمّ محمّد رصدانِ : ضَوْءُ الصُّبح والإظلامُ (٢)
فإذا تنبّه رُعْتَه وإذا غفا سَلَّتْ عليه سيوفَكَ الأحلامُ

ولّما بلغ هذا البيت في القصيدة اهتزّ الرشيد ، وأمرَ بأنْ يُنثر عليه الدّرّ إعجاباً واستحساناً ، وله يقول من قصيدة أخرى عَقِبَ هذا الفتح في يوم عيد جلس فيه الرشيد للشعراء :

لازلْتَ تنشرُ أعياداً وتَطْويها تَمضِي بها لكَ أيّامٌ وتُمضِيها
ولْيَهنِكَ الفتحُ والأيّامُ مقبلةٌ بالنّصر والعزِّ معقوداً نواصيها
أمستْ هرقلةُ تهوي من جوانبها وناصرُ الله والإسلام يَرْميها

وكان الرشيدُ يكثرُ مِنْ حجِّه لى البيت الحرام ومن جهاده العنيف للروم ، قاسماً سنيه بين حجٍّ وغَزْو ، فصوّر ذلك أشجع تصويراً بديعاً في قصيدة استقبله بها في يوم قدوم له من حجّ بإحدى السنوات ، وفيها قول :

أَلِفَ الحَجَّ والجهادَ فما ينفكُّ من سَفْرَتَيْنِ في كل عامِ
سَفرٌ للجهادِ نحْو عدوٍّ والمطايا لِسَفْرَةِ الإحرامْ
طلَبَ اللهَ فهو يسعى إليه بالمطايا وبالجيادِ السَّوَامِ (٣)
فيداهُ يَدٌ بمكّةَ تدعو ه وأخرى في دعوةِ الإسلام

---

(١) الهام : الرؤوس .

(٢) ويروى البيت رواية أخرى وهي ((وعلى عدوّك)) وهي أصحّ ، وسوف تأتي .

( ) بالمطايا : أي بالإبلِ يحجّ عليها ، والجياد المسوّمة : الخيل المُعْلمة ، وسامت الريح : مرّت .

مراثيه

كما أجاد أشجعُ المديح أجاد الرثاء ، وكان يعرفُ كيف يمسُّ القلوبَ ويستثيرُ الحزن في الصدور ، على نحو ما يلقانا في رثائهِ لمحمد بن منصور ، وفيه يقول :

أنعَى فتى الجود إلى الجــود ما مثلُ مَنْ أنعَى بموجودِ
أنعَى فتىً مصَ الثَّرَى بعدَهُ بقيَّــة الماءِ من العُــودِ (١)

فالأرض ييستْ أشجارها بموته .

ومن مراثيه الرائعة التي رواها أبو تمام في حماسته مرثيته فيمن يسمّى ابن سعيد ، وفيها يقول :

مضى ابنُ سعيدٍ حيـن لم يَبْقَ مَشْرَقٌ ولا مغـربٌ إلاّ لـه فيــه مادحُ
وما كنتُ أدري مـا فـواضِـلُ كـفِّه على النَّاس حتى غيَّبَتْهُ الصَّفائحُ (٢)
فأصبـح في لَـحْدٍ من الأرضِ ميّتاً وكانتْ به حَيّاً تَضيقُ الصَّحاصِحُ (٣)
سأَبْكيك ما فاضتْ دموعي فإنْ تَغِضْ فحسْبُكَ منّي ما تُجِنُّ الجوانــحُ (٤)
ومـا أنـا مِـنْ رُزْءٍ وإنْ جَـلَّ جازعٌ ولا بسرورٍ بعد موتِكَ فــارح (٥)
كأنْ لم يَمُـتْ حيّ سـواك ولم تَقُمْ على أحـدٍ إلا عـليكَ النوائحُ
لئنْ حَسُـنَتْ فيك المراثي وذكرُها لقد حسنتْ من قبلُ فيكَ المدائحُ

---

(١) البيت : كناية عن قلّة المعروف ، وغلبة الشُّحّ بعد رحيل محمد بن منصور الذي يرثيه الشاعر .

(٢) الصفائحُ : حجارة القبر . كان يُعْطي الناس ويكتُم أعطياته في حياته ، فلّما مات تحدّثوا بذلك ، ونشروه .

( ) الصحاصح : جمع صَحْصَح ، وهي الأرض المستوية الواسعة .

(٤) تغض : يجفّ ماؤها . تجنّ : تخفي . الجوانح : الضلوع والأعضاء .

(٥) رزء : مصيبة . جلّ : عظم . جزع : ضجر .

أخبار وطرائف متفرّقة عن أشجع

من بواكير شعره في الرشيد

(وهو نموذج من الترجمة الذاتية) . قال أشجع السلمي :

شخصْتُ من البصرة إلى الرقّة،فوجدتُ الرشيد غازِيًا ، ونالَتْني خَلّة (١) فخرجْتُ حتى لقيتُه منصرِفاً من الغزو ، وكنتُ قد اتصلْتُ ببعض أهل داره ، فصاح صائح ببابه : مَنْ كان ها هنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس ، فحضرْنا سبعة وأنا ثامنهم ، وأُمرْنا بالبُكور في يوم الجمعة ، فبكّرنا وأُدخِلْنا ، وقُدِّم واحدٌ واحدٌ منّا يُنْشِدُ على الأسنان (٢) ، وكنت أحدثَ القوم سِنّاً ، وأَرَثَّهم (٣) حالاً ، فما بُلِغَ إليّ حتى كادت الصلاةُ أن تَجِبَ ، فقُدّمْتُ والرشيدُ على كرْسيّ ، وأصحاب الأعمدة بين يديهِ سماطان (٤) فقال لي : أنشدْني فخفت أنْ أبتدئ من أوّل قصيدتي بالتشبيب فتجب الصلاة ويفوتُني ما أرَدْتُ ، فتركتُ التشبيب ، وأنشدته من موضع المديح في قصيدتي التّي أوّلها :

تذكّرْتُ عهدَ البيضِ وهْوَ لها تِرْبُ ... وأيّامَ يُصبي الغانياتِ ولا يصبو (٥)

---

(١) نالتني : نزلتْ بي . خلّة : حاجة .

(٢) ينشد على الأسنان : أي مراعياً أعمارهم ، فينشد الأكبر فالأصغر منه .

(٣) أرثّهم : أشدهم اهتراءً في ثيابه .

(٤) سماطان : صفّان .

(٥) البيض : النساء الجميلات . يُصبي : يثير فيهن لواعج الحبّ . الغانيات المستغنيات عن الحلي .

فابتدأت قولي في المديح :

إلى مَلِكٍ يَستَغرِقُ المالَ جُــودُهُ مكـارِمُـــه نَـثْــرٌ ومعروفُه سَكْبُ

وما زالَ هارونُ الرِّضا بنُ محمّدٍ لـــه مِنْ مياهِ النَّصرِ مَشْرَبُها العَذْبُ

متى تبلُغِ العيسُ المراسيلُ بابَــه بنا فهنـاكَ الرُّحْبُ والمنـزَلُ الرَّحْـبُ(١)

لقد جُمِعتَ فيكَ الظنونُ ولم يكنْ بغـيـركَ ظَـنٌّ يـسـتريـحُ له القَلْبُ

جمعتَ ذوي الأهواء حتى كأنَّهم على منهـــجٍ بعدَ افتراقِهِمُ ركْـــبُ

بَثَثْتَ على الأعداءِ أبنـــاءَ دُرْبةٍ فـلـمْ يَـقِهِمْ منْهم حصونٌ ولا دَرْبُ

وما زلْتَ ترميهمْ بهم مـتـفَــرداً أنيساكَ حَزْمُ الرَّأْيِ والصَّارمِ العَضْبُ(٢)

جهَدْتُ فلمْ أبلغْ عُلاكَ بِمِدْحَـــةٍ ولـيــس على مَنْ كان مجتهداً عَتْبُ

فضحك الرشيدُ وقال لي : خفْتَ أنْ يفوتَ وقتُ الصلاة فينقطع المديح عليك ، فبدأتَ به وتركتَ التَّشبيب ، وأمرني بأن أنشده التشبيب ، فأنشدْتُه إياه ، فأمرَ لكلِّ واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم ، وأمرَ لي بضِعْفِها .

---

(١) العيس : الإبل البيض . المراسيل : الخفاف السريعة .

(٢) أنيساك : مُؤنسَاك . الصارم العضب : السيف القاطع .

استحسان الرشيد لميميّته

أوقع هارون الرشيد بالرُّوْم وقائدهم نِقْفور ، فتقدَّم ، إليه أشجع السلمي يمدحه بقصيدته :

قصـرٌ عـلـيــه تحيَّةٌ وســـلامُ	ألقـتْ عـلـيـه جـمالَها الأيَّامُ
قصُرتْ سقوف المُزْنِ دون سقوفِه	فيـه لأعـلام الهـدى أعـــلامُ(١)
تُـثْـنـي عـلي أيَّـامـكَ الأيَّـــامُ	والشَّاهدانِ : الحِـلُ والإحــرامُ(٢)
أدنـتْـكَ مـن ظِـلّ النبيّ وصيَّةٌ	وقرابةٌ وشَـجـتْ بها الأرحـامُ(٣)
بَرِقتْ سماؤكَ في العدوّ وأمطرتْ	هاماً لها ظِلّ السـيـوف غمامُ
وإذا سيوفُكَ صافحتْ هام العِدَى	طارتْ لهنّ عن الرؤوسِ الهامُ(٤)
وعلى عدوك يا بـنَ عـمّ محمَّدٍ	رصَدانِ ضوءُ الصُّبْح والإظلام(٥)
فـإذا تـنـبَّـه رُعْـتَهُ وإذا غـفَـا	سـلَّـتْ عـليه سيوفَكَ الأحلام(٦)

فلما سمع الرشيد هذين البيتين الأخيرين طَـرِبَ ، وكـان متكّئـاً فاستوى جالساً ، وقال : أحْسَنَ وا للهِ ، هكذا تُمْدح الملوك .

---

(١) المُزْن : السُّحُب .

(٢) يشير إلى إكثاره من الغزو والحجّ .

( ) وَشَجتْ : اتّصلت .

(٤) الهام : الرؤوس .

(٥) رصدان : مراقبان .

(٦) تنبّه : أفاق . رُعْتَه : أخفته .

وقال سعيد بن سالم الباهليّ أيضاً : واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، لو خَرِسَ بعد هذين لكانَ أشعرَ الناس .

معارضته سينيّة للشاعر حُمَيْد بن ثور

كانَ جعفر بن يحيى جالساً في محلّة الصَّالحيّة ببغداد ، ومعه أشجع بن عمرو السلمي ، وأعرابي من بني هلال ، فاستنشد جعفرٌ الأعرابيّ شيئاً من قصائد الشاعر الهذلي حميد بن ثور ، فأنشده قصيدته :

لِمَنِ الدِّيارُ بجانبِ الحُبْس　　كمَحطِّ ذي الحاجات بالنِّقْسِ (١)

فلما أتمها اندفع أشجع يُسمعْ جعفراً مديحاً له فيه ارتجله لوقته على وزن تلك السينيّة وقافيتها ، فقال :

ذهبتْ مكارمُ جعفرٍ وفعالُهُ　　في النّاس مثلَ مذاهب الشَّمْسِ
مَلِكٌ تسوسُ له المَعاليَ نفسُه　　والعقْلُ خيرُ سياسةِ النَّفْسِ (٢)
فإذا تراعَتْهُ الملوك تراجعُوا　　جَهْرَ الكلامِ بمنطقٍ هَمْسِ
سادَ البرامِكَ جعفرٌ وهم الأُلَى　　بعد الخَلائفِ سادةُ الإنْسِ (٣)
ما ضَرَّ مَنْ قصَدَ ابنَ يحيى راغباً　　بالسَّعد حلَّ به أم النَّحْسِ (٤)

فقال له جعفر : صفْ موضعَنا هذا . فقال :

---

(١) الحُبْسُ : اسم موضع . وحُمَيْد يقلّد قصيدة الحارث بن حلزة اليشكري

لِمَنِ الدّيارُ عَفونْ بالحُبْسِ　　آياتُها كمهارِق الفُرْسِ

عفونَ : درسْنَ . آياتها : أعلامها . مهارق : صحف .

(٢) تسوس : تقود .　　(٣) الألى : الذين . الخلائف . : جمع خليفة .

(٤) لايهمّ الذين يسترفدونه شيء ، فإن كانوا موفّقين ازدادوا خيراً ، وإن كانوا غير ذلك جُبرُوا .

قصورُ الصَّالحيّةِ كالعَذارى لَبِسْنَ ثيابهُنَ ليَومْ عُرْسِ
مُطِلاّتٌ على بَطْنٍ كسَتْهُ أيادي الماء وشْياً نسْجَ غرسْ (١)
إذا ما الطّلُّ أثَّر في ثراه تنفَّس نَوْرُه من غير نَفْسِ (٢)

فقال جعفر للأعرابي : كيف ترى صاحبَنا يا هلالي ؟ فقال :

أرى خاطره طوعَ لسانه ، وبيانَ الناس تحت بيانه ، وقد جعلْتُ له ما تصلني به . قال : بل نُقِرُّك يا أعرابي ونُرْضيه وأمر للأعرابي بمئة دينار ، ولأشجع بمئتَيْن .

رثاؤه للعباس بن الفضل بن الربيع

دخل أشجع على الفضل بن الربيع ، وقد توفي ابنه العباس والنّاسُ يعزّونه . فعزّاه فأحسن ، ثم قال يرثيه :

لاتبكيَنَّ بعَيْنٍ غيرِ جائدةٍ وكلُّ ذي حزَنٍ يبكي كما يَجِدُ (٣)
أيُّ امرئٍ كان عباسٌ لنائبةٍ إذا تقنَّعَ دونَ الوالدِ الوَلَدُ (٤)
لم يُدْنِه طمَعٌ من دار مُخْزِية ولم يَعزَّ له من نعمةٍ بَلَدُ (٥)
وحينَ جئتَ أمامَ السابقين ولم يبلُلْ عذارك ميدانٌ ولا أَمَدٌ (٦)
وافاك يومٌ على نكراء مشتملٌ لم يَنْجُ من مثله عادٌ ولا لُبَدُ (٧)
فما تكشَّفَ إلاّ عَنْ مُوَلْوِلَةٍ حَرَّى ومكتئبٍ أحشاؤهُ تَقِدُ (٨)

---

(١) بطن : واد , وشي : حلْية . (٢) الطّلَ : الندى . نَوْر : زهر أبيض .
(٣) جائدة : حزينة . يجِدُ : يحزَنُ ، من الوَجْد ، وهو الحزن والألم .
(٤) تقنّع : تغشّى بثوب ، ليستخفي ، ويتهرّب عن تقديم يد العَونْ .
(٥) بلد : ضعف ذكاء . أي لم تبطره النعمة .
(٦) عذاره : جانب لحيته . أيْ لم يبدأ بممارسة الأعمال الحربية والتدرّب عليها .
(٧) لُبَدُ : آخر نسور لقمان . (٨) حرّى : مكتوية القلب . تقد : تحترق .

فبكى الفضل بن الربيع ، وبكى الناسُ معه ، وما انصرفوا يومئذ يتذاكرون غيرَ أبيات أشجع .

جَشَعُ أشجع

كان ثمّة شعراء مدّاحون ، ويحظَوْن بالعطايا ، ولكنّها لم تكن تملك عليهم كل شأنهم وأمرهم ، كأبي تمام ، وكان آخرون يمدحون وهم حريصون على المكافآت والهبات ، مثل أشجع ، ويُروَى أن الرشيد أبطأ على أشجع بشيء كان قد أمرَ له به ، فكتب إليه أشجع :

أبلغْ أميرَ المؤمنين رسالةً ... لها عَنَقٌ بين الرُّواةِ فسيحُ (١)
بأنّ لسان الشعر يُنطقه الندى ... ويُخْرِسُه الإبطاء وهو فصيح (٢)

ووَعَدَ يحيى بنُ خالد أشجع السُّلَميَّ وعداً ، فأخّره عنه ، فقال له :

رأيتُك لاتَستَلِذُّ المِطالَ ... وتُوفِي إذا غدَرَ الخائنُ (٣)
فماذا تُؤخِّرُ من حاجتي ... وأنتَ لتعجيلها ضامِنُ
ألمْ ترَ أنّ احتباس النَّوالِ ... لمعروفِ صاحبِه شائنُ

فلم يتعجّلْ ما أراد ، فكتب إليه :

رويدَكَ إن عزَّ الفقر أدنى ... إليَّ من الثَّراءِ مع الهَوانِ (٤)
وماذا تبلغ الأيّامُ منّي ... بريْبِ صروفِها ومعي لساني ؟

فبلغ ذلك جعفراً ، فقال له : ويلك يا أشجع ! هذا تهدُّدٌ فلا تَعُدْ لمثله .

ثم كلّم أباه فقضى حاجته ، فقال :

---

(١) العَنَقُ : السير السريع .　　(٢) الندى :الجود والسخاء .

( ) المِطال : التسويف والتأخير .　　(٤) الهوان : الذلّ

كفاني صروفَ الدهرِ يحيى بنُ خالدٍ فأصبحتُ لا أرتاعُ للحَدَثانِ

كفانـي – كفـاه اللهُ كـلَّ مـلـمــةٍ طِلابَ فلانٍ مرّةً وفـــلانِ

فأصبحتُ في رغد من العيش واسعٍ أقلّبُ فيه ناظري ولساني

وقد سلف أن استشهدت بهذه الأبيات .

الخاتمة

يتّضح مما تقدّم أن أشجع بن عمرو السلمي كان من الشعراء المختصيّن بالبرامكة وحكومة الرشيد ، ولم يكن من الطّراز الأوّل بين الشعراء ، وإن كان غزير المعاني رشيق الأسلوب ، وقد عاش حتى شهد قتل الأمين سنة /١٩٨/ ، إذ روى لـه الصُّولي قصيدة في مديح طاهر بن الحسين الـذي حاصر الأمين إلى أنْ ظفِرَ به ، وفي ذلك يقول أشجع :

سلبت رداءَ الملكِ ظالمَ نفسِه وصنتَ الذي ولاّك قصمَ الجبابرِ

فهو يمدحه بأنّه خلعَ الخلافة من الأمين الـذي ظلم نفسَه في رأي أشجع – ونافح عن المأمون الذي قلّده قيادة جيشِه للفتْك بكل جبّار ، وتحطيمه حَطْماً .

ومات أشجع في سنة مصرع الأمين ، أي عام /١٩٨/ للهجرة .